منهجُ التَّفسيرِ البنائِيِّ
عِنْد الدُّكتور محمودِ البُستانيِّ

احمد حنون العتابي

الجامعة المستنصرية – كلية التربية

فحوى البحث

(منهج التفسير البنائي) من المناهج التفسيرية التي روَّج لها حديثا الاستاذ الدكتور محمود البستاني، وعُني بتسميته يوم ألف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم في خمسة أجزاء يحمل صفة (التفسير البنائي للقرآن الكريم) وهو منهج عُني فيه المرحوم البستاني بدراسة السورة القرآنية من الوجهتين الفنية والمعنوية معاً، مبيناً فيه علاقة الآية بالآية في داخل السورة الواحدة، وراصداً الترابط والانسجام بين آي السورة الواحدة، مما يفضي بالسورة المباركة الى جعلها وحدة بنائية متكاملة من النواحي جميعاً.

والبحث مقسّم على ثلاثة مطالب:

اولها: التفسير البنائي في دراسات ما قبل البستاني.

وثانيها: التفسير البنائي عند البستاني.

وثالثها: مسوّغات التفسير البنائي عند البستاني.

تمهيد:

مازالت المناهج التفسيرية في العصر الحديث تزداد وتتنوع وتتسع وتضيق ومنها ما هو في دائرة المقبول ومنها ما هو في دائرة المرفوض ومنها ما يحوم بين الدائرتين يضرب هنا وهناك.

وبعض ما وجد في هذا القرن من المناهج التفسيرية له جذور في القرون الماضية وبعضه جديد كل الجدة مما يوجب درسه ونقده وبيان ما له وما عليه.

وكان من بين المناهج التفسيرية التي ظهرت في هذا العصر هو (منهج التفسير البنائي) الذي عني بتسميته الدكتور محمود البستاني رحمه الله في نهاية القرن العشرين.

فقد الف تفسيراً كاملاً للقران الكريم في خمسة اجزاء اسماه بـ(التفسير البنائي للقران الكريم) عني فيه بدراسة السورة القرآنية من الوجهتين الفنية والمعنوية معاً، مبيناً فيه علاقة الاية بالاية في داخل السورة الواحدة، وراصداً الترابط والانسجام بين آي السورة الواحدة ، مما يفضي بالسورة المباركة الى جعلها وحدة بنائية متكاملة متناسقة من جميع النواحي.

وقد اقتضت طبيعة بحثنا هذا ان يكون مقسماً على ثلاثة مطالب:

المطلب الاول:

التفسير البنائي في دراسات ما قبل الدكتور البستاني:

في نطاق ما اطلعنا عليه من كتب التفسير والدراسات القرانية للقدامى والمحدثين والمعاصرين، فانه لم يضطلع احد من علماء السلف والخلف بتأليف مؤلف او تصنيف مصنف يحمل اسم (التفسير البنائي للقران الكريم) سوى الدكتور محمود البستاني رحمه الله في نهاية القرن العشرين.

هذا من حيث التسمية، اما من حيث المفهوم: فقد خاض الباحثون(*) غمار الكشف عن اصول هذا المنهج، وسبروا اغواره سبراً، ونقبوا عن مكنوناته تنقيباً، بعد ان ادركوا معانيه، وعلموا مراميه، في كل ناحية من نواحيه، حتى وجدوا ان

(*) كالباحث احمد حنون العتابي في رسالته للماجستير (المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني) والباحث احمد عويز العلي في بحثه (الرؤية البنائية للنص القراني عند الدكتور محمود البستاني).

اصول الفهم البنائي للنص القراني- بشكل عام -هي اصول موغلة في القدم، متأصلة في فكر القدامى، فقد نظَّروا لها واشبعوها بحثاً فكانت موضع اهتماماتهم، بحيث جاء هذا الفهم منتشراً في مصنفاتهم وما جادت به اقلامهم، الا انهم تناولوه ودرسوه تحت مسميات عديدة من قبيل: التناسب والتناسق والنظم ونحوها من المصطلحات.

فهذا العلامة الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في تفسير (مجمع البيان) يلتمس المناسبات والروابط المودعة في كتاب الله المصون تحت فقرة اسماها بـ (النظم) عني فيها برصد اوجه العلاقة بين السورة والسورة وبين الاية والاية في داخل السورة الواحدة.

يقول الطبرسي راصداً الوحدة البنائية بين ايات سورة الضحى: (وجه اتصال قوله تعالى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ بما قبله ان قوله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ إثبات لمحبته سبحانه اياه وانعامه عليه، فاتصل هذا ايضاً به، والتقدير ليس الامر كما قالوه، بل الوحي يأتيك ماعمرت وتدوم محبتي لك وما أعطيتك في الاخرة من الشرف، ورفعة المنزلة، خير مما اعطيتك اليوم، فاذا حسدوك على ذا، فكيف بهم اذا راوا ذلك، واما اتصال قوله تعالى: الم يجدك يما قبله، فوجهه انه اتصال ذكر النعم بذكر المنعم، والتقدير انه سبحانه سينعم عليك في مستقبل امرك، كما انعم عليك في الماضي من امرك)[1].

وهذا الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في تفسيره الكبير المسمى بـ (مفاتيح الغيب) يكشف الروابط والترتيبات المودعة في كتاب الله المجيد، وعنه قال السيوطي (ت: ٩١١هـ) مثمناً جهوده في هذا المجال: (وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن اكثر فيه الامام فخر الدين وقال في تفسيره اكثر لطائف القران مودعة في الترتيبات والروابط)[2].

ويأتي كتاب (البرهان في تناسب سور القران)(*) لابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) بوصفه اول كتاب -بحسب علمنا -يعني بدراسة جانب من جوانب

(١) مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي: ١٠/ ٣٨٦.
(٢) الاتقان في علوم القران، السيوطي: ٣/ ٣٦٩.
(*) ويسمى (البرهان في ترتيب سور القران).

التناسب القراني، فقد اختص فيه المؤلف بدراسة اوجه التناسب بين السور القرانية من حيث ترتيبها الاجتهادي في المصحف الشريف[٣].

بقول الغرناطي مبيناً صلة سورة قريش بسورة الفيل، فيقول في الاولى: (لا خفاء باتصالها، اي انه تعالى فعل ذلك باصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمه لانتظام شمل قريش، وهم سكان الحرم وقطان بيت الله، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة امن ساحتهم)[٤].

ويأتي كتاب (البرهان في علوم القران) للزركشي (ت: ٧٩٤هـ) حاملاً بين طياته نوعاً من انواع علوم القران يتحدث فيه عن معرفة المناسبات بين الايات منظراً فيه انواع الارتباطات بين ايات القران الكريم وراصداً المناسبة التي تربط الاية باختها ومبيناً فائدة معرفة هذا الترابط بقوله: (وفائدته جعل اجزاء الكلام بعضها اخذاً باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المتلائم الاجزاء)[٥].

يقول الزركشي في بيان الوحدة البنائية لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾[٦] [سورة الاسراء: ١ -٢]: (قد يقال: اي رابط بين الاسراء و ((اتينا موسى الكتاب))؟. ووجه اتصالها بما قبلها ان التقدير: اطلعناه على الغيب عياناً واخبرناه بوقائع من سلف بياناً، لتقوم اخباره على معجزته برهاناً، اي سبحان الذي اطلعك على بعض اياته لتقصها ذكراً، واخبرك لما جرى لموسى وقومه في الكرتين، لتكون قصتها اية اخرى)[٧].

ويأتي تفسير البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) المسمى بـ (نظم الدرر في تناسب الايات

(٣) ينظر: البرهان في تناسب سور القران، الغرناطي: ١٨٠.
(٤) البرهان في تناسب سور القران: ٢١٨.
(٥) البرهان في علوم القران، الزركشي: ١/ ٣٦.
(٦) البرهان في علوم القران: ١/ ٤٢.
(٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الايات والسور، البقاعي: ٢٢/ ٢٨٧.

والسور) ليكون مصدراً تراثياً مهماً في دراسة التناسب القراني، وذلك لقيمته العلمية في هذا المجال، فقد جاء تنفيذياً في القران كله، اذ يقول المؤلف فيه على استكناه التناسب بين السور القرانية اولاً، وبين الايات في داخل السورة الواحدة ثانياً، مما يزيده ثراءً في اهميته العلمية، اذ يعد واحداً من مصادر استقاء جميع الدراسات التي جاءت من بعده ممن عنيت بدراسة النص القراني على وفق الفهم البنائي[٨].

ويعد تفسير البقاعي تفسيراً مستقلاً قائماً على اساس المناسبات، ويهدف الى ابراز الوحدة البنائية للقران الكريم بسوره واياته، وفيه قال حاجي خليفة صاحب كتاب (كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون) ما نصه: (هو كتاب لم يسبقه اليه احد، جمع فيه من اسر ار القران ما تتحير منه العقول)[٩].

وقد تحدث البقاعي في مقدمة تفسيره عن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب وسبب اختصاصه بعلم المناسبات بقوله: (انه بهذا العلم يرسخ الايمان في القلب، لانه يكشف للاعجاز طريقين: احدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب والاخر نظمها مع اختها بالنظر الى الترتيب، والاول اقرب تناولاً واسهل ذوقاً وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الاعجاز)[١٠].

وتوصل البقاعي في هذا التفسير الى ان اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها، والعلاقة بينهما علاقة اجمال ثم تفصيل[١١]، وعليه فهو يرى ان العنوان هو البنية الكبرى للنص، واما العلاقات بين الايات فغالباً ما تقوم على روابط دلالية متجانسة فيما بينها[١٢].

بينما تكون العلاقات بين السور مختلفة باختلاف الايات والسور، وقد تكون العلاقة صوتية يراعي فيها البقاعي حتى مخارج الاصوات وصفاتها، من ذلك ربطه بين سورتي طه ومريم، اذ يقول رابطاً

(٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون؛ حاجي خليفة: ١/ ١٩٦.
(٩) نظم الدرر: ١/ ٧.
(١٠) انظر: نظم الدرر في تناسب الايات والسور: ١/ ١٢.
(١١) انظر: المصدر نفسه: ١/ ١٣.
(١٢) المصدر نفسه: ١/ ١٢.

بينهما: (وذلك ان لما كان ختام سورة مريم حاملاً عل الخوف من ان تهلك امته ﷺ قبل ظهور امره الذي امر الله به واشتهار دعوته لقلة من امن به منهم، ابتدأ سبحانه بالطاء اشارة بمخرجها الذي هو رأس اللسان واصول الثنايا العلوية الى قوة امره وانتشاره وعلوه وكثرة اتباعه)[١٣].

اما السيوطي (ت: ٩١١هـ) فقد الف كتابيه المعروفين بـ (تناسق الدرر في تناسب السور) والاخر (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) فاما الاول: فهو كما يتضح من عنوانه متخصص بدراسة اوجه التناسب بين السور القرانية فقط، وقد ذكر المؤلف عن كتابه هذا انه تلخيص لمناسبات السور خاصة من كتابه الكبير (اسرار التنزيل) الذي عني فيه بدراسة مناسبات الايات والسور ووجوه الاعجاز واساليب البلاغة، وقد اشار الى هذا بقوله: (وكتابي الذي صنعته في اسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والايات مع ما تضمنه من بيان وجوه الاعجاز واساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته تناسق الدرر في تناسب السور)[١٤]

واما الثاني: فيتناول فيه التناسب بين فواتح السور وخواتمها[١٥].

يقول السيوطي في استدلاله على الوحدة البنائية لموضوعات سورة المائدة: (بدأت بتحريم الصيد في الاحرام وبالشهر الحرام والهدي والقلائد، وختمت بذلك وفي اولها احلال بهيمة الانعام، وفي اخرها النهي على من حرم منها ما لم يحرمه الله، وفي اولها ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[سورة المائدة: ١٢] وفي اخرها ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة المائدة ٧٠] وفي اولها ((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)) [سورة المائدة: ٧٢] وفي اخرها مثل ذلك)[١٦].

واما في مجال الدراسات الحديثة والمعاصرة، فتكشف دراستنا عن وجود

(١٣) المصدر نفسه: ٥/ ٣.

(١٤) الاتقان في علوم القران: ٣/ ٣٦٩.

(١٥) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، السيوطي: ١١.

(١٦) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٠.

الفهم البنائي للنص القراني لدى جمع من اهل العلم من ابرزهم:

١. مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) في كتابه (تاريخ اداب العرب)[١٧].

٢. محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ) في كتابه (النبأ العظيم)[١٨].

٣. سيد قطب الشاذلي (ت: ١٣٨٥هـ) في تفسيره (في ظلال القران)[١٩] (٦ اجزاء) وكتابه الاخر (التصوير الفني في القران)[٢٠].

٤. عبد الله الغماري (ت: ١٤١٣هـ) في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القران)[٢١].

٥. عالم سبيط النيلي (ت: ١٤٢١هـ) في كتابه (النظام القراني)[٢٢].

٦. نصر حامد ابو زيد (ت: ١٤٣١هـ) في كتابه (مفهوم النص دراسة في علوم القران)[٢٣].

٧. محمد المبارك في كتابه (من سهل الادب الخالد دراسة ادبية لنصوص من القران)[٢٤].

٨. فاضل السامرائي في كتابه (التعبير القراني)[٢٥].

كما تكشف الدراسة في هذا المجال عن وجود جهود ملموسة للباحث الياباني المستعرب توشيهيكو ايزوتسو Toshihiko Izutsu في كتابه المعرب: (الله والانسان في القران/ علم دلالة الرؤية القرانية للعالم) الذي نظر فيه الى جانب من العلاقات اللغوية والدلالية للقران الكريم، اذ عده دراسة معمقة للتعابير الكلية للقران الكريم، التي تمثل رؤية قرانية شاملة لكل العالم، لكن هذه النظرة -كما يصفها (توشيهيكو Toshihiko) -ليست مجرد

(١٧) ينظر: تاريخ اداب العرب، الرافعي: ٣/ ١٢٥-١٣٩.

(١٨) ينظر: النبأ العظيم، دراز: ١٧٦.

(١٩) ينظر: في ظلال القران، الشاذلي: ٦/ ٣٩٨٤.

(٢٠) ينظر: التصوير الفني في القران، الشاذلي: ١١.

(٢١) ينظر: جواهر البيان في تناسب سور القران، الغماري: ١٢.

(٢٢) ينظر: النظام القراني، النيلي: ١٢.

(٢٣) ينظر: مفهوم النص دراسة في علوم القران، ابو زيد: ١٥٣.

(٢٤) ينظر: من منهل الادب الخالد دراسة ادبية لنصوص من القران، المبارك: ٣.

(٢٥) ينظر: التعبير القراني، السامرائي: ٢٥٢.

معان ناتجة عن الفاظ معجمية بل انها تستمد قوتها من خلال البعد الترابطي بين جاراتها من الالفاظ، لان معاني الالفاظ بحالها الافرادية ليست موجودة في القران الكريم، بل ان كل كلمة تفصح عن معناها من خلال نظام العلاقات القائم فيما بينها، فتؤلف استناداً الى تلك العلاقات مجموعات مختلفة قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة، حتى تفضي في النهاية الى تأسيس شبكة علاقات معنوية ترتبط بعصب فكري واحد، وهو ما يصطلح عليه توشيهيكو Tooshihiko بـ (الكل الموحد)[٢٦].

والحق: ان هذا الكتاب مشحون بالنظرات العلمية الدقيقة التي حواها بين دفتيه، والتي فيها المنفعة لدارسي القران ولا سيما جانبيه اللغوي والدلالي.

ومما يلحظ من خلال الاستعراض التاريخي لمفهوم البناء والمناسبة فيما تقدم ذكره، وعي علماء السلف والخلف بقضايا الانسجام والترابط بين النصوص، اذ لم يكن من الانصاف والموضوعية ان يرى بعض المستشرقين من امثال (ارنست رينان) ان العقلية العربية لا تقوى على التفكير المنهجي والبحث المنتظم[٢٧] او كما عبر بعضهم في وصفه العقلية العربية انها: (عقلية تفريق لا تنسيق)[٢٨] فما قلناه فيما تقدم يمثل خير دليل رادع وبرهان ساطع على اكاذيب هؤلاء ومن على شاكلتهم، ممن يريدون تزييف التاريخ، ويشوهون التراث الاسلامي.

وصفوة القول:

ان من سلكوا هذا المسلك من اهل العلم في دراسة النص القراني كثيرون، سارت بمؤلفاتهم الركبان وتناقل فكرهم القاصي والداني، لكنهم تناولوه ودرسوه تحت عنوانات عديدة تصب في معنون واحد هو الفهم البنائي للنص القراني الكريم، وعليه فعلماء التناسب والتناسق والنظم هم البنائيون الاوائل بحسب تعبيرنا المعاصر، وهم الذين سبقوا الدكتور البستاني رحمه الله في

(٢٦) ينظر: الله والانسان في القران علم دلالة الرؤية القرانية للعالم، توشيهيكو ايزوتسو: ٣٤.

(٢٧) انظر: المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية، غوتيه: ٦٣.

(٢٨) انظر: المصدر نفسه: ٣٤.

هذا المضمار، فانهم وان لم يصرحوا بذكر مصطلح (التفسير البنائي) الا انهم كانوا اقرب ما يسيرون على هذا النهج، وهم الذين طبقوه على النص القراني، بل ان مسارهم العملي في انتهاج هذا النهج، هو الذي فتح الافاق امام الدكتور البستاني لكي ينظر ويوصل لهذا المنهج، فالسابقون هم الاقدمون، والمنظرون هم المعاصرون الذين انتهجوا هذا النهج، في طليعتهم الدكتور البستاني ولكل واحد نصيبه من الاجر تجاه خدمة كتاب الله العزيز.

المطلب الثاني:

التفسير البنائي عند الدكتور البستاني:

هو منهج تفسيري ادبي بلاغي، يندرج ضمن المناهج التفسيرية المعاصرة، اضطلع بتسميته د. محمود البستاني فعني فيه بدراسة السورة القرانية الواحدة من الوجهتين الفنية والمعنوية معاً، فكشف عن الخيط الناظم والمعنى الجامع بين مكونات السورة الواحدة من مبدئها الى خاتمتها، لابراز وحدة نظامها اللغوي والمعنوي بين جميع مكوناتها، وارتباط اياتها بعضها ببعض حتى تكون كالبنيان الواحد الذي يشد بعضه بعضاً، وبيان ان جميع القضايا التي احتوتها السورة ترتبط بخيط فكري واحد تسعى جميع ايات السورة الكريمة الى بيانه واتمامه.

وهذه الوحدة الجامعة لقضايا السورة واياتها تمثل الهدف العام الذي يسيطر على قارئ السورة القرانية، لان هناك وحدة موضوعية في السورة -كما يراها- تتجلى في موضوع واحد او موضوعات متعددة، ذات نسيج مترابط، وبناء متماسك، اذ ان السورة مهما تعددت موضوعاتها واغراضها فانها ملتحمة ومترابطة، فلا يمكن نقل بعض الكلمات او الايات ووضعها في محل اخر، لانه سيحدث خلل في الموضوع واضطراب وضياع في فكرة السورة ووحدة نظامها اللغوي والمعنوي، لان السورة القرانية هي وحدة موضوعية واحدة، تضم في داخلها اجزاء متآلفة مجتمعة، تشترك بعصب فكري موحد في موضوعات موحدة[٢٩].

ان د. البستاني في دراسته السورة

(٢٩) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر تفسيره لسورة مريم، التفسير البنائي ٣/ ٦٩-١٠٩.

القرانية -زيادة على اكتشافه الوحدة الترابطية بين مكونات السورة الواحدة - يحاول توظيف العناصر اللفظية والصورية والايقاعية وغيرها من عناصر تنظيم النص الادبي لاجل انارة فكرة السورة الاساسية والموضوع الذي تريد الافصاح عنه، فهو يريد ان يؤكد علاقة ايات السورة بعضها ببعض، وان ثمة اطاراً عاماً يسور السورة باجمعها، وان لكل سورة موضوعاً معيناً وفكرة معينة يدور الحديث حولها، ومن هذا المعنى سميت السورة القرانية بـ (السورة) لانها كل السور الذي يضم في داخله اشياء عديدة[٣٠]، فكما ان سور المدينة يضم في داخله مباني وشوارع واسواقاً ومعالم... الخ، فكذلك السورة فانها تضم في داخلها مجموعة من الايات تحوي في داخلها موضوعات وافكاراً مختلفة يجمعها خيط ناظم ومعنى جامع يسور السورة باكملها، وكما يقوم على هندسة سور المدينة مهندسون وخبراء، فكذلك السورة فقد اتت هندستها من لدن حكيم خبير اودع هندسته فيها، فجاءت قوية البناء متناسقة الاجزاء، لا اختلاف فيها ولا تضارب، ذات نظام واحد متماسك، وضعت فيه كل كلمة وضعاً فنياً مقصوداً.

ان منهج البستاني في تفسيره البنائي منهج تأملي، فهو يريد لقارئ السورة القرانية ان يتحرر من القراءة الجزئية الى القراءة الكلية، التي تترك اثراً كلياً وانطباعاً عاماً لدى المتلقي، وهو بهذه الحال ينطلق في فهم السورة من الكل الى الجزء، وينظر الى الوحدة من خلال الكثرة، ومن هنا جاء تفسيره قوياً في بابه ومحكماً في بنيانه.

وقد سار البستاني في كتابه (التفسير البنائي للقران الكريم) على اسس علمية ومنهجية عند تفسيره كل سورة من سور القران الكريم، سواء اكانت مكية ام مدنية، قصيرة ام طويلة، كاعتماده السياق اعتماداً كلياً في تفسير اية السورة المباركة، ورصده الخيط الناظم والمعنى الجامع الذي يحيط بكل موضوعات السورة الواحدة، وجعل هذا الخيط بمنزلة فكرة مركزية وهدف عام تريد السورة ايصالها

(٣٠) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز ابادي: ٣/ ٢٧٤.

الى المتلقي[٣١].

قال﵀ راصداً الخيط الناظم والفكرة المركزية التي ترمي اليها موضوعات سورة الماعون: (هذه السورة قائمة على بناء هندسي محكم، حيث تتضمن موضوعين مختلفين (فكرة مشتركة) يصب فيها ذانك الموضوعان... الموضوعان هما: الشخصية المكذبة بالدين، والشخصية الساهية عن الصلاة... فبالرغم من ان كل شخصية منهما لا علاقة لها بالاخرة: من حيث كون احدهما كافرة لاتؤمن بالله واليوم الاخر، والاخرى مسلمة ولكنها تسهو عن صلاتها، الا ان كلتيهما تشتركان في سلوك واحد هو عدم الانفاق او الاطعام او مساعدة الاخرين بغض النظر عن هوية الشخصية وكونها كافرة او مسلمة)[٣٢].

فقد تأمل البستاني في سياق موضوعات هذه السورة فوجد ان هنالك فكرة مركزية هي بمنزلة الخيط الناظم والمعنى الجامع الذي تدور عليه ايات السورة المباركة باكملها المتمثل بعدم الانفاق ومساعدة الاخرين.

وقال ايضاً مبيناً الخيط الناظم الذي يوحد بين موضوعات سورة الكهف: (سورة الكهف تمثل حجماً متوسطاً من سور القران الكريم، وهي تتناول موضوعات مختلفة بالقياس الى بعض السور التي تتناول موضوعاً واحداً... المهم يمكننا ان نلاحظ ان هنالك خيطاً فكرياً عاماً يوحد بين موضوعات السورة المختلفة، وهي موضوعات تتحدث عن رسالة النبيﷺ والحياة الدنيا واليوم الاخر، كما تتحدث عن قصص اهل الكهف وذي القرنين وموسى وغيرها من الاحداث والمواقف. بيد ان الملاحظ ان هذه الموضوعات يجمع بينها هدف فكري محدد هو: نبذ زينة الحياة الدنيا، بمعنى ان جميع موضوعاتها تصب في هذا الرافد الفكري سواء اكانت هذه الموضوعات تتحدث عن اهل الكهف او عن ذي القرنين او عن الحياة الدنيا او سلوك النبيﷺ)[٣٣].

(٣١) انظر: المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني: ٦٠، رسالة ماجستير (للباحث).

(٣٢) التفسير البنائي للقران الكريم، محمود البستاني: ٥/ ٤٢٨.

(٣٣) المصدر نفسه: ٣/ ٥٥.

ولا نريد التفصيل في الحديث عن الخيوط الفكرية المترابطة التي افضت بموضوعات سورة الكهف الى هذه الفكرة المركزية، بانها مشبعة بحثاً في كتاب (التفسير البنائي في القران الكريم) ويمكن للقارئ الرجوع الى ذلك التفسير القيم للأستزادة من معارفه وكنوزه الدفينة[٣٤].

ويرى البستاني ان السورة القرانية من حيث البناء الفني لموضوعاتها، تبنى على وفق واحد من اربعة اساليب، وواحدة من ثلاث علاقات، فاما الاساليب فهي: اسلوب الفكرة الواحدة والموضوع الواحد، واسلوب الفكرة الواحدة والموضوعات المتعددة، واسلوب الموضوع الواحد والافكار المتعددة، واسلوب الافكار المتعددة والموضوعات المتعددة، واما العلاقات فهي: علاقة السببية، وعلاقة النمو، وعلاقة التجانس. وسنسلط الضوء على دراسة هذه الاساليب وعلاقاتها فيما يأتي ذكره:

اولاً: اسلوب الفكرة الواحد والموضوع الواحد:-

١. معناه: هو ان السورة الكريمة يمكن لها ان تحمل بين ثناياها فكرة واحدة تتجسد في موضوع واحد تريد الافصاح عنه[٣٥] وهذا الاسلوب ينحصر وروده غالباً -بحسب علمنا والله اعلم -في السور القصار من القران الكريم.

٢. مثاله: (سورة القارعة) قال تعالى:

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾

[سورة القارعة].

٣. قال د. البستاني رحمه الله عند تفسير هذه السورة: (هذه السورة تتناول اليوم الاخر من حيث مراحله الثلاث: الانبعاث، المحاسبة، المصائر النهائية، فيما تتم صياغة هذه المراحل من

(٣٤) انظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣٥) انظر: المصدر نفسه: ١/ ٩.

خلال وحدة فكرية تنتظم السورة، وتخضعها لعمارة محكمة ممتعة تتضمن عنصراً قصصياً وصورياً وايقاعياً تصب جميعاً في الرافد المشار اليه)[٣٦].

فالملاحظ ان هذه السورة قد تضمنت موضوعاً واحداً تجسدت فيه فكرة واحدة هي فكرة الحديث عن اليوم الاخر بمراحله المختلفة.

ثانياً: اسلوب الفكرة الواحدة والموضوعات المتعددة: -

١. معناه: ان السورةُ الكريمةُ يمكن لها ان تحمل فكرة واحدة تتجسد في موضوعات مختلفة، بحيث تصب جميع هذه الموضوعات في فكرة واحدة وهدف واحد، يكون بمنزلة الخيط الناظم والمعنى الجامع الذي تريد السورة باكملها ايصاله الى المتلقي[٣٧].

٢. مثاله: (سورة الفلق) قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق].

فهذه السورة تتناول جملة من الموضوعات المتفاوتة، ولكنها ترتبط في وحدة فكرية تجمع بين هذه الموضوعات، وهي الاعتصام بالله من الشر، والدليل الفني على ان الوحدة الفكرية في السورة هي الاستعانة بالله من مطلق الشر هو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ اي من مطلق الشر لكن بما ان النص ذكر بعد ذلك جملة من موارد الشر حينئذ نستنتج بان هذه الموارد هي من اشد انماط الشر)[٣٨].

ثالثاً: اسلوب الموضوع الواحد والافكار المتعددة:-

١. معناه: هو ان تطرح السورة الكريمة موضوعاً واحداً تتجسد فيه افكار متعددة يراد ايصالها الى المتلقي بحيث يكون هنالك تجانس وانسجام بين ذلك الموضوع وبين تلكم الافكار التي تريد السورة الافصاح عنها[٣٩].

(٣٦) التفسير البنائي: ٥/ ٣٩٠.
(٣٧) انظر: المصدر نفسه: ١/ ٩.
(٣٨) التفسير البنائي: ٥/ ٤٦٠ -٤٦٢.
(٣٩) انظر: المصدر نفسه ١/ ٩.

٢. مثاله: (سورة يوسف) تبدأ سورة يوسف من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [سورة يوسف: ١] وتنتهي بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[سورة يوسف: ١١١].

قال د. البستاني﵀ عند تفسير هذه السورة:- (ان موضوعها واحد هو: حياة يوسف، الا ان اهدافها متعددة مثل مفهوم الصبر، والحسد، الغيرة)[٤٠].

رابعاً: اسلوب الافكار المتعددة والموضوعات المتعددة:-

١. معناه: هو ان تجئ السورة الكريمة حاملة بين ثناياها اكثر من فكرة تتجسد في اكثر من موضوع بحيث توصل الى ذهن المتلقي عدة موضوعات ترتبط فيما بينها باواصر متآلفة مجتمعة تصب في رافد موحد[٤١].

٢. مثاله: (سورة الصافات) تبدأ سورة الصافات بقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾[سورة الصافات: ١] وتنتهي بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٢].

قال﵀: (تنتظم السورة موضوعات مختلفة: بخاصة سلوك الانبياء﵈، فضلاً عن موضوعات متفرقة تصب جميعاً في رافد فكري موحد بينها هندسياً)[٤٢] قال﵀: (كان الموضوع الاول خاصاً بالملائكة، وكان الموضوع الاخر هو توحيد الله، وكان الموضوع الثالث هو تزيين السماء الدنيا بالكواكب وكان الموضوع الرابع هو: منع الشياطين من الصعود الى الملا الاعلى وكان الموضوع الخامس هو: سلوك الكافرين، وهكذا تتوالى الموضوعات واحداً بعد الاخر الى نهاية السورة الكريمة... فالملاحظ ان هذه الموضوعات متنوعة لا علاقة لبعضها مع الاخر لكنها عندما تنتقل من موضوع الى اخر تمهد له بما هو مشترك بينهما)[٤٣].

(٤٠) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي، محمود البستاني: ٣١٨.
(٤١) انظر: التفسير البنائي: ١/ ٩.
(٤٢) التفسير البنائي: ٤/ ٦١.
(٤٣) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي: ٣١٨-٣١٩.

خامساً: انواع العلاقات في السورة القرانية:

انواع العلاقات التي يترتب عليها بناء الموضوعات في السورة القرانية ثلاثة هي:

- علاقة السببية:

١. معناه: هو ان يجري ترتيب موضوعات السورة القرانية احدها على الاخر على نحو السببية، بحيث يكون كل موضوع سبباً للاحقه ومسبباً عن سابقه(٤٤)، وهذه علاقة واضحة في آي السورة الكريمة يمكن لدارس السورة ان يكتشفها بيسر من دون تكلف او مشقة.

٢. مثالها: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [سورة طه: ١٥ -١٦].

ان العلاقة بين قوله تعالى: (من لا يؤمن بها -وقوله -واتبع هواه، علاقة سببية، لان اتباع الهوى هو سبب الهلاك والكفر بيوم القيامة.

ومن لطائف التعبير القراني ودقته في هذا النص الكريم، انه استعمل الفعل) اتبع بصيغة الماضي، مع ان المعطوف عليه وهو قوله تعالى: ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ قد ورد بصيغة المضارع، وهذا دال على تقدم مرحلة اتباع الهوى على مرحلة انكار قيام الساعة.

- علاقة النمو:

١. معناه: هو ان موضوع السورة الكريمة ينتقل ويتحول من مرحلة الى اخرى كما يتنامى الكائن الحي، فيقتطع مراحل متنوعة حتى يصل الى ذروة نموه(٤٥).

٢. مثالها: قال د. البستاني عند تفسير الاية العاشرة من سورة الاعراف وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[سورة الاعراف: ١٠] وقال في الاية السابعة والخمسين من السورة نفسها وهي قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[سورة الاعراف: ٥٧] قال: (هنا ينبغي ان لا نغفل بان النص

(٤٤) انظر: التفسير البنائي: ١/ ٩.

(٤٥) انظر: التفسير البنائي: ١/ ٩.

في مقدمة السورة قد طرح موضوع الارض وان الله جعلها معايش للناس وهذا يعني من زواية عمارة النص ان تخصيص الارض بهذا الحديث من حيث اخراجها للثمرات حيث تعد الثمرات هي المادة الرئيسية للعيش، انما جاء هذا التخصيص مرتبطاً بمقدمة السورة، والى ان هذا التفصيل انما هو انماء لمقدمتها)[٤٦].

- علاقة التجانس:

١. معناها: هو ان الموضوعات والافكار التي تتناولها السورة الكريمة يتجانس بعضها مع بعض في خطوطه العامة، وكذلك بالنسبة الى العناصر التي تستعمل لاجل انارة فكرة السورة، كعنصر اللفظ والايقاع والصورة..الخ من عناصر تنظيم النص الادبي[٤٧].

٢. مثالها: (سورة الماعون): قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون].

فقد طرحت هذه السورة الكريمة موضوع المكذب بالدين وموضوع الساهي عن الصلاة، مع كون احدهما غير الاخر، الا انهما يتجانسان في سلوك واحد هو عدم الانفاق وعدم مساعدة الاخرين، فالمكذب بالدين لا يحض على طعام المسكين، والساهي في الصلاة يمنع الماعون، وكلا الظاهرتين تمثل سلوكاً اقتصادياً سلبياً[٤٨].

هذا، وقد لوحظ له في خصيصة لغته التفسيرية استعماله تعبيرات تفسيرية قوية المعاني، ينجذب اليها نظر القارئ عند قراءته لتفسيره البنائي، وهذه التعبيرات لم تكن مألوفة الاستعمال عند السلف والخلف من المفسرين، من ابرزها تعبيراً (البناء الهندسي والعماري) للسورة القرانية، كقوله عند تفسير سورة الماعون: (هذه السورة قائمة على بناء هندسي محكم،

(٤٦) التفسير البنائي: ٢/ ٣٣.
(٤٧) انظر: المصدر نفسه: ١/ ٩ – ١٠.
(٤٨) انظر: التفسير البنائي: ٥/ ٤٢٨.

حيث تتضمن موضوعين مختلفين (فكرة مشتركة) يصب فيها ذانك الموضوعان، الموضوعان هما: الشخصية المكذبة بالدين، والشخصية الساهية عن الصلاة.

فبالرغم من ان كل شخصية منهما لا علاقة لها بالاخرى من حيث كون احداهما كافرة لا تؤمن بالله واليوم الاخر، والاخرى مسلمة ولكنها تسهو عن صلاتها، الا ان كلتيهما تشتركان في سلوك واحد هو عدم الانفاق او الاطعام او مساعدة الاخرين)[٤٩]. وقال﵀ واصفاً البناء الفني لموضوعات سورة المرسلات: (يكشف عن مدى احكام وجمالية الهيكل العماري للسورة)[٥٠].

وبعد رجوعنا الى كتب المعجمات اللغوية وانعام النظر فيها للوقوف على معنى هذين التعبيرين –يعني الهندسي والعماري –اظهرت الدراسة ان الاول: مأخوذ من (الهندس) بكسر الهاء وسكون النون وكسر الدال، ومن معانيه الجدة والجرأة، والاسم (الهندسة) بكسر الهاء، فيقال: رجل (هندس) اذا كان جيد النظر ومجرباً، وفلان (هندوس) بهذا الامر: اي العالم به، و(هنادسة الامر) اي العلماء به، واسد (هندوس) اي جريء[٥١]، والاصل في الكلمة (هندز) وهي فارسية، فأبدلت الزاي سيناً لان العرب لا تأتي بالزاي بعد الدال[٥٢].

اما الثاني (العماري) فهو مأخوذ من الفعل (عمر)[٥٣] بفتح العين وكسر الميم وفتح الراء، والاسم (العمارة) بكسر العين، ومن معانيها القبيلة العظيمة[٥٤]، ويقال: عمر الناس الارض عمارة وهي عامرة معمورة، والمصدر (العمران)[٥٥].

ان المعاني التي خرجت من هذه الالفاظ تفصح عن دقته﵀ في انتقائه التعبيرات التفسيرية التي يستعملها، فهو يستعمل لفظ (الهندسة) بكسر الهاء وسكون النون، بمعنى الاجادة المراد بها حسن الصنعة

(٤٩) المصدر نفسه: ٥/ ٤٢٨.
(٥٠) المصدر نفسه: ٥/ ٢٦١ ط.
(٥١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٢٥١.
(٥٢) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي: ٣/ ١٩٠٣.
(٥٣) ينظر: مختار الصحاح، الرازي: ٢٧٠.
(٥٤) ينظر: كتاب العين: ٢/ ١٢٨٣.
(٥٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤/ ١٤١.

التي تتمتع بها صياغة السورة الكريمة من حيث الاحكام والاتقان، ويستعمل لفظ (العمارة) بمعنى (القبيلة العظيمة) للدلالة على عظمة بناء السورة القرانية وما تضم في داخلها من عناصر ومكونات تقوم عليها بـ (القبيلة العظيمة) التي تضم في داخلها فروعاً وبيوتات وافراداً تنهض بهم، وكأنه–بهذا الاستعمال –يحاكي عظمة السورة بعظمة القبيلة.

المطلب الثالث:
مسوغات التفسير البنائي عند الدكتور البستاني:

ثمة مسوغات–عقلية ونقلية–توالدت في فكر د. البستاني رحمه الله وجعلته يتجه الى دراسة السورة القرانية على وفق هذا المنهج، خلص الباحث الى اجمالها في ثلاثة امور هي:

اولاً: الانتظام المنهجي لايات القران الكريم:

فقد رأى البستاني ان من احد المسوغات التي دفعته الى دراسة السورة القرانية على وفق بنائها الهندسي هو انتظام ايات القران الكريم في سور مستقلة منسجمة ومنتظمة فيما بينها.

قال رحمه الله متسائلاً عن سر الانتظام القراني في (١١٤) سورة (لماذا انتظم القران الكريم في (١١٤) سورة؟. ولماذا اتسمت كل سورة بطرح موضوعات محددة، قد تتكرر وقد لا تتكرر في سورة اخرى؟. ومع تكرارها في هذه السورة او تلك، لماذا ترد في سياق يختلف عن السياق الذي وردت من خلاله في هذه السورة او تلك؟. ولماذا كان النبي صلى الله عليه وآله يأمر كتاب الوحي بان يضعوا الاية الفلانية في السورة الفلانية الى جانب الاية الفلانية؟. اما كان من الممكن مثلاً ان تنتشر الايات على شكل مقاطع متفرقة من دون ان توزع في سور مستقلة؟. وهل ان انتظامها في سور مستقلة، انما تم من اجل حفظها مثلاً؟. او من اجل توظيفها في صلوات او اذكار ونحوها. طبيعياً لا.

اذن: ثمة اسرار تكمن وراء انتظام القران في سور مستقلة وهو ما يضطلع المنهج البنائي بتوضيحها)[٥٦].

وانصافاً للحق: نرى ان هذا المسوغ وحده كاف لان يدفع البستاني الى دراسة

(٥٦) التفسير البنائي للقران الكريم، محمود البستاني: (بحث).

السورة الكريمة في ضوء منهجه البنائي، لان مسألة انسجام النص القراني وانتظام اياته في سور مستقلة على النحو الذي اشار اليه لا بد وان يحمل وراءه خصيصة ومزية تجعله مختلفاً عن كلام البشر من الشعر او النثر.

ومن خلاله فيما تقدم يظهر ان مسألة ترتيب المصحف الشريف –سوراً وايات –امر توفيقي كان بامر النبي ﷺ ويستشف من كلامه –ايضاً –ان الترتيب المصحفي لايقوم على اساس العامل الزمني، بل ان هناك عصب فكري ووحدة موضوعية تجمع ايات السورة فيما بينها.

وتأسيساً على ما تقدم ذكره، فهو يتفق مع ما اتفق عليه علماء المسلمين ممن قالوا ان ترتيب اي المصحف الشريف كان توقيفياً من لدن النبي ﷺ كما ذهب الى ذلك الباقلاني[٥٧] (ت: ٤٠٣هـ) والزركشي[٥٨] (ت: ٧٩٤هـ)، والسيوطي[٥٩] (ت: ٩١١هـ).

ويتفق مع من قالوا بتوقيفية السور كأبي جعفر النحاس[٦٠] (ت: ٣٣٨هـ)، والكرماني[٦١] (ت: ٥٠٥هـ)، والطبرسي[٦٢] (ت: ٥٤٨هـ)، وغيرهم.

ويختلف مع من قالوا بتوقيفية الايات من دون السور كابن فارس[٦٣] (ت: ٣٩٥هـ)، والعلامة الطباطبائي[٦٤] (ت: ١٤٠٢هـ) وغيرهما.

ثانياً: قصر الدراسات التفسيرية على التناول الجزئي للسورة لا الكلي:

فقد رأى البستاني ان الدراسات التفسيرية قديماً وحديثاً –بحسب رأيه –لم تعن بدراسة السورة على وفق هذا النهج، معللاً سبب ذلك بضعف القابلية المعرفية التي يمتلكها المفسر بقوله: (الحقيقة المتمثلة بان الدراسات التفسيرية قديماً وحديثاً، سواء اكانت تفاسير عامة او تفاسير فنية، انها اما ان تتناول السورة الكريمة من خلال الدراسات (التجزيئية) للايات بحسب

(٥٧) انظر: اعجاز القران، الباقلاني: ٦٠.
(٥٨) انظر: البرهان في علوم القران: ١/ ٢٥٦.
(٥٩) انظر: الاتقان في علوم القران: ١/ ٢١١.
(٦٠) انظر: المصدر نفسه: ١/ ٢١٨.
(٦١) انظر: البرهان في علوم القران: ١/ ٢٥٩.
(٦٢) انظر: مجمع البيان في تفسير القران: ١/ ٤٣.
(٦٣) انظر: البرهان في علوم القران: ١/ ٢٣٧.
(٦٤) انظر: الميزان في تفسير القران، الطباطبائي: ٢/ ١٢٤.

تسلسلها في السورة، او تتناول الدراسة (الموضوعية) للظواهر المطروحة فيها، وكلتاهما لا تتناولان السورة بما انها نص ترتبط وتتناغم اياته ومقاطعه وموضوعاته وعناصره وادواته فيما بينها، خلا بعض الاشارات العابرة الى العلاقة بين بعض الايات او الموضوعات مع البعض الاخر، تحت مصطلحات من نحو (النظم) كما هو ملاحظ في الدراسات القديمة، وهي اشارات جزئية كما قلنا لبعض المواقع من النص)[٦٥].

وقال في حديثه عن القابلية المعرفية للمفسر التي كانت -بحسب رأيه- السبب في عدم تمكنه من تناول السورة على وفق هذا المنهج بقوله: (لعدم امتلاكه الخبرة الثقافية التي تسمح له بتفسير النص من خلال الادوات النفسية التي افرزتها البيئة الحديثة خلا اشارات عابرة وجدت طريقها لدى بعض المفسرين)[٦٦].

(٦٥) انظر: التفسير البنائي للقران الكريم، محمود البستاني (بحث).

(٦٦) انظر: المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني: ٥٢، رسالة ماجستير (الباحث).

وواضح من كلام البستاني فيما تقدم انه يريد للمفسر ان يكون على معرفة وثقافة عاليتين بالادوات النفسية التي افرزتها البيئة من خلال المدارس النفسية الحديثة، مما يلوح للباحث عن انه كان متأثراً الى حد ما بالنظريات النفسية التي سادت العصر الحديث وهذا ما يظهر من خلال المسوغ الاتي بيانه:

ثالثاً: استجابة المتلقي للجزء من خلال الكل:

فقد رأى البستاني ان من الحقائق الواضحة في ميدان علم النفس ان المتلقي يدرك جزئيات الاشياء من خلال كلياتها، ويشير الى ان بعض الاتجاهات النفسية قد تنبهت الى هذا الامر بقوله: (من الحقائق الواضحة في حقل الادراك او الاستجابة حيال المعرفة وتمثلها، ان الذهن البشري يدرك الظواهر من خلال الكل وهو امر قد انتبهت اليه بعض الاتجاهات النفسية... فما دام المتلقي يستجيب للنص من خلال الكل، حينئذ فان الانتهاء من تلاوة السورة الكريمة سوف تفضي بالمتلقي الى ان يظفر بالحصيلة النهائية التي استهدفتها

السورة)[٦٧].

وواضح من كلامهﷺ يريد للمفسر ان يكون على معرفة ودراية عاليتين بطرق الادراك والاستجابة وما يواكبها من العمليات النفسية، وهذه الدعوة – بحسب علمنا والله اعلم –لم يدع لها داع من اعلام السلف والخلف من المفسرين.

ان من بتأمل فكر د. البستاني يستكشف انهﷺ كان متأثراً الى حد ما بعدد من النظريات النفسية التي سادت مطلع القرن العشرين، نذكر منها –على سبيل المثال لا الحصر –نظرية (الجشتاليت) الالمانية التي تبناها عدد من العلماء الالمان امثال: فرتها يمر، كوهلر، وغيرهما[٦٨]، وهي تنطلق في نظرتها الى الاشياء من الكل الى الجزء، وترى ان الكل اكبر من مجموع اجزائه[٦٩].

وختاماً:

ان القول بالوحدة البنائية للسورة القرانية يمكِّن الباحث في النص القراني من القيام بجولة ايمانية هدفها الكشف عن الاعجاز الالهي البديع للسورة المباركة يستشعر منها عظمة تلك الصنعة الادبية الالهية للسورة الكريمة التي فاق بناؤها كل البناءات الادبية الاخرى، ناهيك عن ان السورة القرانية ببنائها الالهي المعجز الذي انسجمت فيه الموضوعات وتعانقت تشكل جواباً رادعاً لكل من يشك بان يكون هذا البناء قد دخل عليه التحريف.

(٦٧) انظر: التفسير البنائي للقران الكريم، البستاني (بحث).

(٦٨) ظ: علم نفس الجشتالت، بول جييوم: ١٢.

(٦٩) ظ: علاقة ابعاد عملية الادراك الاجتماعي ببعض العمليات العقلية، سماح خالد: ١١٥ رسالة ماجستير.

المصادر و المراجع

كتاب الله المجيد القران الكريم.

١. اعجاز القران، الباقلاني، ابو بكر محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣هـ)، تح: احمد صقر، دار المعارف، القاهرة –مصر، ط٥، ١٤١٨هـ.

٢. الاتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، محمد ابو الفضل ابراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣. البرهان في تناسب سور القران، ابن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق

محمد شعباني، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الطبعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٤. البرهان في علوم القران، بدرالدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، لبنان، دار الكتب العربية، الطبعة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزابادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، (د. ت).
٦. تاريخ اداب العرب، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).
٧. التصوير الفني في القران، سيد قطب الشاذلي (ت: ١٣٨٥)، بيروت، دار الشروق، الطبعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٨. التعبير القراني، فاضل السامرائي، عمان، دار عمار، الطبعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٩. التفسير البنائي للقران الكريم، محمود البستاني (ت: ١٤٣١هـ)، مشهد مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة، الطبعة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٧م.
١٠. الميزان في تفسير القران، الطباطبائي، محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١١. القواعد البلاغة في ضوء المنهج الاسلامي، محمود البستاني، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة، مشهد – ايران، ط١، ١٤١٤هـ
١٢. جواهر البيان في تناسب سور القران، عبد الله الغماري (ت: ١٤١٣هـ) مصر، مكتبة القاهرة، (د. ت).
١٣. علاقة ابعاد عملية الادراك الاجتماعي ببعض العمليات العقلية، سماح خالد، رسالة ماجستير، كلية للاداب والعلوم التربوية –جامعة عين شمس، ١٤٢٢هـ.
١٤. علم نفس الجشتالت، بول جييوم، ترجمة: صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزاق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة –مصر، ط١، ١٣٨٣هـ.
١٥. في ظلال القران، سيد قطب الشاذلي (ت: ١٣٨٥هـ)، بيروت، دارالشروق،